هويات قلقة

«المشروع السياسي الآشوري هو إقامة دولة مدنية ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان والمواطنة بغض النظر عن الدين والمعتقد والجنس، والاعتراف بكل مكونات الشعب السوري وحقوقه».

ريمون يوخنا
قيادي آشوري في الجيش الحر

«الآشوريون السوريون يطالبون بالحقوق القومية المشروعة ضمن سوريا. أهدافنا هي الدفاع عن الحقوق القومية للشعب الآشوري كمكون أساسي وأصيل في وطنه سوريا».

جورج كورية
مسؤول "اتحاد تنسيقيات السريان الآشوريين"

الآشوريون في سوريا الضلع السامي المنسي وبقايا حضارة عملاقة

● في نيسانهم الطويل بين «أكيتو» و«سيفو» يرغبون في العيش كاملي المواطنة محافظين على هويتهم

في بداية الثلاثينات من القرن الماضي اقتنع الآلاف من الآشوريين باستحالة العيش في العراق بعد تدمير قراهم، فنزحوا إلى سوريا حيث لم تمانع سلطات الاحتلال الفرنسية استقبالهم، فاستوطن عشرات الآلاف ضفاف نهر الخابور.

إبراهيم الجبين

❑ أصحاب أولى الحضارات على الأرض، وأهل اللغة والقانون، والعمارة والأسطورة والطوفان، كل واحد منهم نصفه جلجامش ونصفه أنكيدو، وبعد آلاف من السنين، لم تعد الحياة على الكوكب الذي نعيش فيه تعنيهم كباقي البشر. ويشهد نيسان في أول أيامه عيدهم الكبير، عيد رأس السنة البابلية الآشورية السريانية معا، ولكنه يشهد أيضا أحداثا دامية وقعت في الرابع والعشرين منه، ذات يوم، الأحداث التي عرفت باسم "سيفو".

وحسب التوراة فقد كان آشور أحد أبناء سام الذي استقر شمال ما بين النهرين، ويرى الباحثون أن أصل الكلمة يعود إلى اسم الإله آشور الذي كان يعبد في المدينة المعروفة بنفس الاسم منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، فهم الضلع المتكسّر من السامية في العالم، وهم بقايا الحضارة العملاقة التي أسست كل شيء منذ البداية.

بعد انهيار برج بابل

بعد انهيار الإمبراطورية البابلية وزوال الملك العظيم الذي حكم الرافدين وسوريا ومصر ومناطق كبرى من المشرق، بدأ عهد سيطرة الإمبراطورية الرومانية على شرقي نهر الفرات، وسيطر الفرس على المناطق الواقعة غرب الفرات، فتشكلت في المناطق الحدودية عدة ممالك سريانية وعربية شبه مستقلة تابعة لهاتين الإمبراطوريتين مثل "حدياب" و"الرها" و"تدمر" و"الحضر". واعتنق أهل هذه الممالك ديانات تأثرت بديانات وادي الرافدين والفرس.

وانتشرت اليهودية إلى "حدياب" فاعتنق ملكها إيزاط وزوجته هيلينا الديانة اليهودية في أوائل القرن الأول الميلادي. أما دخول المسيحية إلى "الرها" فقصة وقعت بعد أن راسل الملك أبجر الخامس يسوع المسيح لكي يزور مملكته ويشفيه، فاستجاب له بإرسال أحد تلاميذه، فانتشرت المسيحية فيها، وأصبح مار أداي أسقفا على الرها بحلول العام 100 ورسم بقيذا نفسه أسقفا على "حدياب" سنة 104.

عرف السريان والآشوريون كلمة "ملفان" التي تعني" معلّم" ومع تقدّم الزمن واعتناق المسيحية أكثر فأكثر في القرن الرابع والخامس ظهر ملافنة كبار مثل أفرام السرياني ونرساي وغيرهما. واعتبرت المدارس السريانية في "الرها" و"نصيبين" من أهم المراكز التعليمية في تلك الفترة. وتوصف مدرسة "نصيبين" أحيانا بأنها أقدم جامعة في التاريخ، وتمت ترجمة الإنجيل والتناخ "التوراة" إلى السريانية بالنسخة المعروفة بالبشيطتا والتي تعد من أقدم النسخ المحفوظة للإنجيل، وكتبت العديد من التفاسير وكتب الألحان مثل "بيث غازو" الذي لا يزال يستعمل حتى اليوم في الكنائس السريانية الغربية.




مار بنيامين شمعون

مع العرب والإسلام

مع الفتح العربي للشمال، وصل حكم المسلمين إلى البلاد التي يعيش فيها الآشوريون والسريان، في العام 640، ولم يشتكوا من أي ضغط مورس عليهم أو حرمهم من ممارسات عباداتهم. وكانت اللغات السامية، العربية والسريانية والآشورية مصدر تقارب بينهم وبين المسلمين العرب القادمين من الجزيرة والحجاز، على عكس

▸ **لم يعان الآشوريون والسريان مع وصول العرب المسلمين إلى الشمال في العراق وسوريا، كما عانوا من اضطهاد البيزنطيين والفرس**

ما وقع ضد السريان والآشوريين من البيزنطيين والفرس. واشتهر السريان في الترجمة من اليونانية إلى السريانية ومن ثم إلى العربية في عهد الدولة العباسية، حيث كان معظم المترجمين في بيت الحكمة من اليعاقبة والنساطرة وبرزوا في علوم الطب والرياضيات والفيزياء فاعتمد عليهم الخلفاء، واشتهرت منهم أسرة بختيشوع و يوحنا بن ماسويه مدير مشفى دمشق في خلافة هارون الرشيد، وحنين بن إسحاق المسؤول عن بيت الحكمة وديوان الترجمة وابنه إسحاق بن حنين، وحبيش بن الأعسم وغيرهم. وأصبحت بغداد عند إنشائها مركزا لكنيسة المشرق.

بلاد الرافدين، بلاد ما بين النهرين، ما بين دجلة والفرات، وكذلك المسرح الحضاري الإنساني وصولا إلى البحر المتوسط، حيث سوريا، الفضاء الذي شهد ولادة هذا الشعب، وتشكيله لحضارته الأولى، بابليون وآشوريون وسريان، عاشوا على هذه الأرض، صعدوا وهبطوا، غمرتهم الأحداث والظروف، وحين بدأ الوعي القومي ينشأ بين الشعوب مع مد الثقافة القومية الأوروبية، وصراع العالم، كانت "زهريرا دبهرا" الجريدة التي صدرت في أورميا كأول صحيفة سريانية ناطقة بإحدى لغات ما بين النهرين السامية العريقة، هي نقطة البداية، وأورميا هي إحدى المدن التي تقع اليوم في شمال إيران، ولكنها كانت حين صدرت فيها "زهريرا دبهرا" في العام 1849، في النطاق المتنازع عليه ما بين العثمانيين والروس، في أورميا كما في غيرها، عرف السكان من الآشوريين والسريان والعرب وبقية الشعوب المتشاطرة في الحياة، ما سمي حينها بالإرساليات الدينية التبشيرية، التي قامت الدول الغربية بإرسالها لتغيير المذاهب المسيحية من الكنيسة الشرقية إلى الكنائس الغربية، فدخلت مع تلك الإرساليات المطابع والأزياء الأوروبية والمزيد من الثقافة.

ألغى آشوريو سوريا مظاهر الاحتفال بعيد (الأكيتو) الذي يعلن بداية العام الآشوري الجديد طالما بقيت الحرب السورية مستعرة

وكان أول من وقف ضدّ تلك الإرساليات أكراد المنطقة، ووجهاؤها وشيوخها منهم، وكانت قد بدأت تنشأ إمارات كردية في المنطقة بعلم العثمانيين وتفويضهم وتحت سلطتهم ورغما عنهم في أحيان كثيرة، أراد أمراؤها كالأمير الكردي محمد الراوندوزي تطبيق إدارتهم وأحيانا فرض الإسلام على بعض مكونات هذا الفضاء الواسع بالقوة، فوقعت أحداث دامية ضد الآشوريين والسريان وأيضا ضد الأكراد اليزيديين، في مناطق حكاري وبرواري وبوهتان حيث الأمير بدرخان وحتى سنجار وفي سهل نينوى العراق.

الإرساليات الدينية وتقسيم المنطقة

كان مجيء العام 1895 محملا بالمزيد للشعوب السريانية والآشورية التي واجهت صدّ صعودها العنيف من قبل الجميع، وكانت كل منطقة تصل إليها الحملات التبشيرية باسم حماية الأقليات أو تغيير المذهب والكثلكة أو التحول إلى البروتستانتية تصبح هدفا لأحداث دامية ستقع فيما بعد. ولم يكن للسريان كالآشورين نزعات قومية عالية تطالب بحكم ذاتي أو استقلال عن السلطنة، ولكن الفوارق العلمية والمعيشية والمهنية ما بين مسيحيي المنطقة ومسلميها، والتي تسبب فيها وجود الإرسالية، جعلت السلطان العثماني يقلق، فقرر إغلاق المدارس والإرساليات وحصرها بفرماناته.

بدأ العصف ضد الآشوريين والسريان، لارتباطهم بالدول التي ترسل تلك الحملات، وفي معظمها كانت دولا تخوض حروبا ضد العثمانيين كروسيا والغرب، فتغيرت معالم المنطقة، ونزح الآشوريون والسريان جنوبا نحو سوريا والعراق، وظهر حينها الزعيم الروحي الذي سيقود وورثته الشعب الآشوري إلى بدايات القرن العشرين وأحداثه الكارثية، مار شمعون الذي ترأس السلطة الدينية والسياسية للآشوريين.

مار شمعون والحكم الذاتي

وعد العثمانيون مار شمعون بنيامين، بالحكم الذاتي، إذا وقف ضد الروس، وقام بضبط الشعب الآشوري والسرياني وعدم السماح لبعض فئاته بطعن خاصرة الدولة العثمانية التي تحارب القيصر الروسي حينها. وقد التزم مار شمعون بنيامين بالوعد، ومنع الآشوريين من الانضمام إلى تمرّد الأرمن، وتحمّل ضغوطات كبيرة، منها اختطاف شقيقه هرمز شمعون من اسطنبول ونقله إلى الموصل للضغط عليه كي يوافق على دخول الآشوريين الحرب ضد العثمانيين، ولكنه رفض، وقال: "حياة رعيتي أهم من حياة أخي"، فتم قتل هرمز وتغلبت العشائر الآشورية على رأي مار شمعون وأعلنت الحرب ضد العثمانيين في 10 مايو من العام 1915.

أعطت روسيا وعودا للآشوريين بحمايتهم، ولكنها لم تفعل، فلجأ مار شمعون وشعبه إلى الجبال، وتمت محاصرتهم، فكتب مار شمعون رسالة إلى الروس جاء فيها: "بعد شهر من المعارك مع الأكراد، أرسل مهدي باشا حاكم الموصل العثماني وحدات عثمانية مدونة بمدافع ثقيلة، فقاموا باحتلال قرانا وحرقها... يعيش الآشوريون الآن في قمم الجبال في "تياري" و"تخوما" و"ديز"، وهم يموتون بسبب نقص الغذاء. ليس لدينا أي عتاد والأتراك يحاصروننا، لقد نفدت خياراتنا". ولكن الروس لم يستجيبوا، فساق مار شمعون شعبه عبر الجبال إلى سهل أورميا وأسكنهم في سالماس وأورميا، بعد أن فقد الآلاف حياتهم جوعا في الطريق الوعرة بين الجبال.

ووقعت الأحداث التي راح ضحيتها الآلاف، وما تزال تحقيقاتها جارية حتى اليوم، فلم يحسم العالم موقفه منها بعد أن رفض كل طرف الاعتراف بمسؤوليته عن وقوع ما سمّاه الآشوريون والسريان باسم "سيفو" فيقولون " شاتو سيفو" أي "عام السيف" العام 1915، الذي عرف النزوح والترحيل أكثر نحو الجنوب حيث سوريا والعراق.

خذلان روسيا والنتائج على الآشوريين

في العام 1917، تراجع الروس، بسبب أحداثهم الداخلية والثورة الشيوعية التي قامت ضد القيصر، وانسحب الجيش الروسي من الجنوب وانسحب معه الثوار الآشوريون، ولم يعد لهم من داعم سوى الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، فأقاموا جسرا مع البريطانيين القادمين للحلول محل الأتراك، بعد أن احتل الإنكليز بغداد في مارس من العام 1917. وشكّل الآشوريون في أروميا في العام 1918 حكومتهم المدنية الأولى، ولكن قائد الأكراد "سمكو" أجهز على زعيم الآشوريين مار شمعون، مما أدى إلى رد فعل عنيف من الآشوريين ضد القرى والأهالي المسلمة في دلمان وسلماس وعادت الفوضى، التي التقطها البريطانيون، حيث قرروا التمدد عسكريا إلى الشمال وطلب دعم الآشوريين والأرمن، ضد الأكراد، الذين صمدوا في وجه الإنكليز، فقررت بريطانيا نقل الآشوريين إلى المناطق التي تتبع سيطرتهم، وهكذا نزحوا إلى بعقوبة والحبانية في العراق، حيث أقام لهم الجيش البريطاني مخيمات للجوء، ثم أعيد توطين هؤلاء بعد العام 1925 في مجموعة من القرى في شمال العراق.

هويات قلقة

«السريان والآشوريون هم كغيرهم من مكونات المجتمع السوري، فيهم من يدعم الثورة وفيهم من يوالي النظام وفيهم من يقف على الحياد والبعض مازال متحمسا للثورة».

عبدالأحد اسطيفو
ممثل المنظمة الآشورية الديمقراطية في الائتلاف السوري

«يحل العام الآشوري الجديد (6764) وأوضاع الآشوريين السوريين تزداد قتامة، والمأساة السورية تزداد فصولها وتتعاظم حتى فاقت كل تصور وكل معقول».

سليمان يوسف
باحث سوري مهتم بقضايا الأقليات

● رفع العلم الآشوري في سوريا جنبا إلى جنب مع علم الثورة

" منحوتة يعود تاريخها إلى الحقبة الآشورية اكتشفت في مدينة نينوى العراقية "

المطالبة بالاستقلال

استمرت الزعامة الروحية والسياسية لأسرة شمعون، فطالب بطريرك كنيسة المشرق مار شمعون الثالث والعشرون بحكم ذاتي للآشوريين في شمال العراق وعرض البطريرك هذه المطالب على عصبة الأمم في العام 1932. وأرسلت إلى عصبة الأمم عدة وثائق من الآشوريين في العراق حدّدوا فيها مطالبهم قبيل إنهاء الانتداب البريطاني على العراق، طالبوا فيها بنقل اللاجئين إلى دولة تحت سيطرة قوة أوروبية، وفضلوا بذلك سوريا التي كانت لا تزال تحت الانتداب الفرنسي. والطلب الآخر في 16 يونيو من العام 1932 بعد أن اجتمع البطريرك مع قادة الآشوريين في "العمادية" ورفع المجتمعون وثيقة إلى الحكومة العراقية وعصبة الأمم تدعو إلى الاعتراف بالآشوريين واستخدام تعبير "شعب" ضمن مكونات العراق. وطالبت الوثيقة بإنشاء منطقة حكم ذاتي للآشوريين، والاعتراف بمار شمعون زعيما روحيا ودنيويا عليهم. رفضت الحكومة العراقية هذه المطالب، وقال نوري السعيد إن الآشوريين لا يشكلون سوى ربع مسيحيي لواء الموصل، ولذا لا يحق لهم بالمطالبة بمقعد في البرلمان. ورفضت تركيا السماح للاجئين بالعودة لقراهم. وبعد أن وصل كمال أتاتورك إلى السلطة، قرر ترحيل من تبقى في الجنوب إلى منطقة الجزيرة الفراتية العليا وشمال سوريا، فهاجر الآشوريون والسريان إلى الحسكة وحلب وغيرهما، ونزح كثير منهم إلى القامشلي مقابل نصيبين التركية، وكذلك بيروت التي بنت لهم المخيمات ثم أسست لهم حيا عرف بحي السريان، وما زالوا في لبنان ومنهم عائلات كبيرة شهيرة.

أصبحت قضية الشعب الآشوري والسرياني قضية عالمية، بعد أن استقال اللواء الآشوري الذي شكلته بريطانيا من الجيش العراقي احتجاجا على رفض مطالب البطريرك، وناقش العالم كيف يمكن توطين هذا الشعب في كردستان العراق، أو في كندا، ولم يتم الاتفاق على أي من تلك المقترحات. واستمر المقاتلون الآشوريون في ثورتهم حتى وقعت المواجهة بينهم وبين الجيش العراقي، في سميل، في العام 1933، بعد إعلانهم عن نواياهم بتأسيس كيان مستقل تدعمه بعض الدول الغربية، ولكن الجيش قضى على قواهم العسكرية، مما اضطرهم إلى الهجرة عبر الحدود إلى سوريا على مجرى نهر الخابور، حيث استوطنوا هناك وعاشوا كسوريين، بعد أن طلبت منهم بريطانيا مطالبة عصبة الأمم بضم الموصل إلى العراق، كي تمنحهم حكما ذاتيا، وبعد أن تم ضمها إلى السيطرة البريطانية تخلت عنهم كما تخلى عنهم الروس.

في طريق رحلتهم إلى الجزيرة السورية، كان المقاتلون قد انهكوا تماما وقرّروا ترك السلاح. ويروي العقيد البريطاني رونالد ستافورد أثناء زيارته للمنطقة دهشته لرؤية الآشوريين مكسوري الروح وهم أهل الجبال المعروفين بالصلابة. واقتنع الآلاف منهم باستحالة العيش في العراق بعد تدمير قراهم، فنزحوا إلى سوريا حيث لم تمانع السلطات الفرنسية توطينهم بها، فاستوطن عشرات الآلاف ضفاف نهر الخابور في محافظة الحسكة مجاورين للسريان الغربيين الذين استوطنوا هناك عقب أحداث "سيفو"، وأسسوا في تلك الأنحاء أكثر من 30 قرية أهمها تل تمر، وتم نفي مار شمعون إلى قبرص، على يد القوات الجوية البريطانية، ثم رحل إلى الولايات المتحدة الأميركية ليؤسس كنيسة المشرف الآشورية في شيكاغو في العام 1940. وبعد ثماني سنوات، في العام 1948 اجتمع مار شمعون مع ممثلي دول العراق وسوريا وإيران في واشنطن وطالب أتباعه بالعيش كمواطنين "مخلصين أينما أقاموا في الشرق الأوسط".

▸ **شهد أبريل أول وأعظم أعيادهم «أكيتو» وشهد أيضا أكثر الأحداث الدامية في تاريخهم الحديث، وفي يوم 24 أبريل من كل عام يحيون ذكرى «شاتو سيفو»**

هوية بلا غيتو

من يعرف الجزيرة السورية، يدرك كم كان الآشوريون والسريان يرغبون في العيش كمواطنين كاملي المواطنة، محافظين على هويتهم، دون أن تصطدم تلك الهوية مع المكونات الأخرى، فاختلطوا مع العرب، وتشاركوا معهم في زراعتهم وتجارتهم وحياتهم، وظهرت منهم شخصيات فكرية وثقافية وفنية كبيرة، وانخرطوا في الحياة السياسية السورية، حتى وصل بعضهم إلى مناصب كبيرة.

▸ **أسس الآشوريون أولى الحضارات ثم عادوا بعد آلاف السنين لينزحوا إلى بلدان العالم باحثين عن هويتهم**

في الثلث الأول من القرن العشرين فتح العالم الغربي لهم باب الهجرة ولم يغلقه، وكان المرء يرى في ساحة المرجة في دمشق ملصقات باللغة الإنكليزية والفرنسية مكتوب عليها "مطلوب مهاجرين سريان - آشوريين".

واستمرت هجراتهم في القرن العشرين، فكتب كبرئيل موشي كورية، مسؤول المكتب السياسي لـ"المنظمة الآشورية الديمقراطية" في سوريا،: "إن الهجرة بدأت منذ قيام دولة الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958، عندما فرضت قيود كبيرة على ثقافتهم.

حينها لجأ عدد كبير منهم إلى لبنان، ومنها إلى أوروبا وغيرها، جراء اشتداد الحرب الأهلية اللبنانية، ولا توجد إحصاءات دقيقة لأعداد الآشوريين السريان في سوريا، الذين يقدر عددهم تقريبا بنحو 200 إلى 250 ألفا". ولكنهم استمروا أيضا في معارضتهم النظام الديكتاتوري الذي نشأ في سوريا بعد وصول البعث إلى السلطة، فيقول القيادي في "المنظمة الآشورية الديمقراطية" عبد الأحد اسطيفو وعضو المكتب التنفيذي في المجلس الوطني السوري المعارض إن المنظمة كانت "الأكثر انخراطا في الحالة الوطنية السورية من خلال شراكتها وتحالفاتها في أطر المعارضة الوطنية الديمقراطية".

الآشوريون ثائرون على نظام الأسد

يؤكد مسؤول "اتحاد تنسيقيات السريان الآشوريين" جورج كورية عدم وجود أية مشاريع انفصالية لدى الآشوريين السوريين إلا أنهم يطالبون بـ"الحقوق القومية المشروعة ضمن سوريا"، ويضيف "أهدافنا هي الدفاع عن الحقوق القومية للشعب الآشوري كمكون أساسي وأصيل في وطنه سوريا، والسماح له بتدريس لغته القومية واعتبارها لغة رسمية تدرس في المناهج الدراسية، والحفاظ على العادات والتقاليد التي ورثها منذ آلاف السنين، وحرية ممارسة شعائره الدينية وطقوسه، والعمل من أجل بناء دولة ديمقراطية علمانية مدنية تعددية على مبدأ المواطنة الحرة لجميع أطياف ومكونات الشعب السوري وعلى مبدأ سوريا للجميع ولكافة أبنائها".

ويضيف كورية "تنسيقيات السريان الآشوريين في الداخل والخارج شاركت منذ البداية في التظاهرات السلمية جنبا إلى جنب مع بقية المكونات، كما ساهمت بفعالية في تشكيل لجان دعم ومساندة الثورة السورية وبالأخص إعلاميا لتعريف الثورة ونشر أخبارها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو عن طريق المقابلات ونشر الفيديوهات على نطاق واسع. وكردة فعل على هذه المشاركات قام النظام القمعي يوم الجمعة 20 مايو 2011 بمداهمة مقر المنظمة الآشورية في مدينة القامشلي وصادر محتوياته واعتقل 13 قياديا منها بعد عودتهم من المشاركة في المظاهرة".

قادة في الجيش الحر

رفع العلم الآشوري في الثورة السورية جنبا إلى جنب مع علم الثورة السورية، وشارك الآشوريون في الحراك السلمي ثم العسكري ضد نظام بشار الأسد، يقول القيادي الآشوري في الجيش الحر ريمون يوخنا إن "المشروع السياسي الآشوري هو "إقامة دولة مدنية ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان والمواطنة بغض النظر عن الدين والمعتقد والجنس، والاعتراف بكل مكونات الشعب السوري وحقوقه".

ويؤكد عبدالأحد اسطيفو أن "السريان والآشوريين هم كغيرهم من مكونات المجتمع السوري، فيهم من يدعم الثورة وفيهم من يوالي النظام وفيهم من يقف على الحياد والبعض مازال متحمسا للثورة، وآخرون تعبوا من تداعياتها وينشدون الخلاص وعودة الحياة إلى طبيعتها شأن الكثير من السوريين، كما أن البعض اختار طريق الخلاص له ولأسرته عبر الهجرة".

صراع على هوية شمال سوريا بين الأكراد والآشوريين والعرب

باسل العودات

❑ استقبل آشوريو سوريا الأول من أبريل الذي يحيون فيه عيد الأكيتو (بداية العام الآشوري الجديد 6764) بمشاعر الفرح والألم معا. وتعدّ هذه المناسبة أحد أبرز أعياد الآشوريين القومية المرتبط بتجدد دورة الحياة والخصوبة في الطبيعة والمتميز بطقوسه وتقاليده المستمدة من التراث الأكادي البابلي العريق، لما تنطوي عليه من دلالات ميثولوجية وفلسفية عميقة، تركت بصماتها على معظم الفكر الديني في الشرق القديم.

وكان قد جاء في ملحمة التكوين البابلية (اينوما ايليش) أن الاحتفالات بعيد الأكيتو كانت تستمر 12 يوما، وتبلغ ذروتها مع تتويج (مردوخ) ملكا إلها على الكون بعد انتصاره على الموت، تماما كما يحتفل المسيحيون في شهر أبريل من كل عام بعيد الفصح (قيامة المسيح من القبر وانتصاره على الموت). فعيد الأكيتو بالنسبة إلى الآشوريين خصوصا هو بحق عيد الطبيعة والآلهة والإنسان، لكنه ليس كذلك في سوريا هذه الفترة، خاصة مع ما تمر به من مآسي وأحزان، وحرب طاحنة يشنها النظام بلا هوادة، دمّرت كل شيء بما فيها الاقتصاد والأمن كما دمّرت، أو أوشكت أن تدمر كل ما له صلة بالتراث والتقاليد وحتى الانتماء.

في هذا الصدد قرر آشوريو سوريا إلغاء الاحتفالات الشعبية والاقتصار على إلقاء كلمات وخطابات، ربما لن تساعدهم في تحسين الحال، لكنها ستسعى، وفقا لمصادر آشورية سياسية، إلى التنبيه إلى المخاطر المحدقة بسوريا عموما وبآشورييها خصوصا، والمستقبل المظلم الذي ينتظر الجميع فيما لو استمرت الحرب.

وقالت مصادر آشورية سورية لـ (العرب) "احتفالات الآشوريين بعيد الأكيتو هذا العام اقتصرت على إقامة مهرجانات خطابية وندوات سياسية يتحدث فيها الخطباء عن دلالات وقيم العيد، وتوقف المتحدثون في كلماتهم عند تطورات ومستجدات الأزمة السورية التي زادت تعقيدا مع تنامي دور المجموعات الإسلامية الجهادية المتطرفة المحلية والوافدة وتحولت إلى حرب مفتوحة بين السوريين وعلى السوريين، وباتت عبءا ثقيلا ببعديها الأمني والإنساني على دول الجوار والعالم أجمع". "في هذه المناسبة أكد المتحدثون ضرورة تمسك الآشوريين (سريانا وكلدانا) بأرضهم ووطنهم وتحمل مسؤولياتهم الوطنية مع شركائهم في إسقاط الدكتاتورية وبناء سوريا الجديدة".

وحول هذه المناسبة السنوية الاستثنائية في سوريا، قال سليمان يوسف، الباحث السوري المهتم بقضايا الأقليات لـ (العرب) "يحل العام الآشوري الجديد (6764) وأوضاع الآشوريين السوريين تزداد قتامة، والمأساة السورية تزداد فصولها وتتعاظم، وتسبب فيها نظام قمعي عقابا لشعب انتفض وثار لأجل حريته وكرامته، حيال هكذا أوضاع آشورية ومأساة وطنية لم يعد لدى السوريين وقت ومكان للفرح والبهجة بل للألم والحزن وإحصاء شهدائهم".

وأضاف يوسف "بهذه المناسبة يجدد الآشوريون السوريون مطالبتهم، ليس النظام الحالي المتهاوي، وإنما الحكم الجديد الآتي لسوريا الجديدة، بالاعتراف الدستوري بالآشوريين السوريين (سريانا/ كلدانا) كشعب سوري أصيل وحل القضية الآشورية حلا وطنيا ديمقراطيا عادلا، وإقرار عيد الأكيتو عيدا وطنيا سوريا لكل السوريين باعتباره جزءا من التراث الحضاري الوطني لسوريا التاريخية التي عن السريان أخذت أسمها".

قضية اختطاف المطرانين

لاشك أنه إلى جانب القضية الوطنية العامة والمركزية (قضية الثورة)، ثمة قضايا آشورية ومسيحية ساخنة بالغة الحساسية والأهمية تشغل الرأي العام الآشوري والمسيحي، مثل قضية المطرانين (يوحنا إبراهيم وبولس اليازجي) المخطوفين منذ عام كامل من قبل مجموعات مسلحة في ريف حلب ومازال مصيرهما مجهولا. وهي القضية التي باتت أحد ألغاز الأزمة السورية، إذ ما من جهة تبنت خطفهما حتى الآن ولا من مطالب مادية أو سياسية معلنة من قبل الخاطفين لقاء إطلاق سراحهما.

قضية المطرانين، تركت خيبة أمل كبيرة لدى الآشوريين والمسيحيين عامة من القوى الإقليمية والدولية النافذة في الأزمة السورية بسبب صمتها وسكوتها عن هذه القضية وعدم تحركها بشكل جدي وفاعل للكشف عن مصير المطرانين.

وفي سياق قضية المطرانين قال يوسف "إذا كانت ثمة علاقة بين خطف المطرانين وتعيين خليفة للبطريرك زكا عواص (بطريرك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية)، كما أوردت بعض التقارير، فمن المفترض أن يكشف عن مصير المطرانين ويطلق سراحهما بعد رحيل البطريرك زكا (توفي قبل أيام)، فالمطران (يوحنا إبراهيم) كان من أبرز المرشحين لخلافة زكا على كرسي البطريركية السريانية ومقره دمشق، ومن أكثر رجال الكنيسة السريانية قربا من النظام السوري.

آمال بتحرير البطريركية

يأمل الكثير من السريان أن يشكل رحيل البطريرك زكا فرصة لإنقاذ كنيستهم السريانية (كبرى الكنائس الآشورية) من حالة الشلل والتشرذم، وهنا تأكيد على أن ثمة حاجة وطنية سورية وآشورية اليوم، وفي هذه الظروف الصعبة جدا والمصيرية التي تعصف بالوطن السوري، إلى أن يشكل رحيل البطريرك زكا (عراقي الجنسية)، فرصة لاختيار بطريرك جديد سوري الهوية والانتماء والجنسية يكون ملتصقا بالشعب السوري ومعايشا لهمومه وقضيته ومناصرا لثورته.

مظاهرات الآشوريين في سوريا ضد نظام الأسد

مسيحيو العراق يطلقون صرخة استغاثة عقاراتهم المنهوبة

❑ **بغداد** - تشن عصابات، تدعي الارتباط بجهات دينية وحزبية في العراق، كما تقول منظمة غير حكومية وضحايا، عملية استيلاء على عقارات وأراض في بغداد تعود خصوصا إلى مسيحيين غادر معظمهم البلاد بسبب أعمال العنف والفوضى المستمرة منذ الاجتياح الأميركي في 2003.

وقال رجل دين من إحدى الطوائف المسيحية إن "عددا كبيرا من أصحاب العقارات من المسيحيين باعوا عقاراتهم بأبخس الأثمان بسبب التهديدات التي تلقوها من عصابات استولت على ممتلكاتهم". وأضاف أن "عمليات الاستيلاء بدأت قبل سنوات في منطقة الكرادة التي كانت العائلات المسيحية تملك معظم عقاراتها قبل أن تغادر العراق بسبب العنف والتهديدات والتهجير".

ولا يزال الكثير من أصحاب الأملاك يرفضون بيع عقاراتهم نظرا لتمسّكهم بالعراق، وهم من أقدم مكوناته التاريخية، آملين في العودة مجددا بعد استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية في بلاد ما بين النهرين.

ومنذ الاجتياح الاميركي، هرب مئات الآلاف من المسيحيين العراقيين من المناطق التي كان يستوطنها أجدادهم قبل ظهور الإسلام بسبب تصاعد النزعة الاسلامية المتطرفة والمواجهات المذهبية. ولجأ الكثير منهم إلى كردستان العراق وآخرون إلى دول الشرق الأوسط وأوروبا وأميركا الشمالية.

وتعمد هذه المجموعات الى مساومة اصحاب العقارات على مبالغ متدنية بشكل خيالي مقابل التخلي عنها بعد ياسهم من التوصل الى حل من خلال الوسائل القانونية والقضائية. وأكد وليم وردة رئيس منظمة "حمورابي لحقوق الانسان" أن إحدى وسائل "بعض العصابات تزوير وكالات قانونية لتملك العقارات وبيعها". وقال من الممارسات الشائعة أيضا "رفض دفع الايجار لصاحب العقار وتهديده الأمر الذي يدفعه إلى المغادرة والكف عن المطالبة حفاظا على حياته".

من جهتها، قالت أحلام عسكر، المقيمة في بريطانيا، إن "عصابة تدعي انتمائها إلى التيار الصدري استولت على منزلي في الكرادة وحاول موكلي استرداده إلا أن محاولاته باءت بالفشل".

وأضافت "المنزل هو مصدر رزقي الوحيد ورفضت بيعه، لأنني أحلم بالعودة عندما تستقر الأوضاع الأمنية التي دفعتني إلى المغادرة كالآلاف غيري".

وقد بلغت أعداد المسيحيين في العراق أكثر من مليون نسمة قبيل 2003، إلا أنها تراجعت وتدنت إلى حوالي 400 ألف نسمة يتوزعون خصوصا على المحافظات الشمالية والعاصمة بغداد، وفقا لأرقام الكنائس ومراكز الأبحاث.

وتشير الأرقام إلى استهداف عشرات الكنائس من أصل 170 موزعة في العراق من زاخو شمالا إلى البصرة جنوبا، فيما أدّت الهجمات إلى مقتل نحو ألف مسيحي وإصابة أكثر من ستة آلاف بجروح.

وتدعي المجموعة التي استولت على منزل أحلام أنها حصلت على فتوى من المرجع الشيعي المقيم في طهران كاظم الحائري بجواز استغلال العقار الذي يعود إلى "أحد أزلام النظام السابق وجواز الصلاة فيه".



كنائس العراق باتت شبه خالية من المصلين